

سورة الإنفطار
وهي مكية كلها بإجماعهم
بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا لِبِحَارٍ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * لِيَذِي خَلْقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فَوَإِي صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَنِينِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَّا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَنِيئًا وَالْأْمُرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ }

قوله تعالى: { إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ } انفطارها: انشقاقها. و { انْتَثَرَتْ } بمعنى تساقطت. و { فُجِّرَتْ } بمعنى فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا.

وقال الحسن: ذهب ماؤها، و { بُعْثِرَتْ } بمعنى أثرت قال ابن قتيبة قلبت فأخرج ما فيها. يقال بعثرت المتاع وبحثرته: إذا جعلت أسفله أعلاه.

قوله تعالى: { عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ } هذا جواب الكلام. وقد شرحناه في قوله تعالى { يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } [القيامة: 13].

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ } فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه عني به أبو الأشدين، وكان كافرا، قاله ابن عباس، ومقاتل. وقد ذكرنا اسمه في [المدثر: 30].

والثاني: أنه الوليد بن المغيرة، قاله عطاء.

والثالث: أبي بن خلف، قاله عكرمة.

والرابع: أنه أشار إلى كل كافر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: { مَا غَرَّكَ } قال الزجاج: أي: ما خدعك وسول لك حتى أضعت ما وجب عليك؟

وقال غيره: المعنى: ما الذي أمنك من عقابه وهو كريم متجاوز إذ لم يعاقبك عاجلا؟ وقيل

للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة، وقال: ما غرك بربك الكريم، ماذا كنت

تقول؟ قال: أقول غرني ستورك المرخاة. وقال يحيى بن معاذ: لو قال لي: ما غرك بي؟

قلت: برك سالفا وأنفا. قيل: لما ذكر الصفة التي هي الكرم ها هنا دون سائر صفاته،

كان كأنه لقرن عهده الجواب، ليقول غرني كرم الكريم.

قوله تعالى: { لِيَذِي خَلْقَكَ } ولم تك شيئا { فَسَوَّاكَ } إنسانا تسمع وتبصر فعدلك قرأ ابن

كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «فَعَدَّلَكَ» بالتشديد وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي

«فَعَدَّلَكَ» بالتخفيف قال الفراء: من قرأ بالتخفيف، فوجهه - والله أعلم - فصورك إلى أي

صورة شاء، إما حسن، وإما قبيح، وإما طويل، وإما قصير، وقيل: في صورة أب، في صورة

عم، في صورة بعض القرابات تشبيها. ومن قرأ بالتشديد، فإنه أراد - والله أعلم - جعلك

معتدلا، معدل الخلقة، وقال غيره: عدل أعضائك، فلم تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل،

وعدل بك أن يجعلك حيوانا بهيما.

قوله تعالى: { مَا يُجَدِلُ * صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ } قال الزجاج: يجوز أن تكون «ما» زائدة

ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها

ركبك، وفي معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: في أي صورة من صور القرابات ركبك، وهو معنى قول مجاهد.

والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو قصر، أو ذكر، أو أنثى، وهو معنى قول

الفراء.

والثالث: إن شاء أن يركبك في غير صورة الإنسان ركبك، قاله مقاتل. وقال عكرمة: إن شاء

في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير.

والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن

شاء في صورة كلب بالبخل، أو خنزير بالشرة، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: {بَلْ تُكذَّبُونَ بِالذِّينِ} وقرأ أبو جعفر «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، تزعمون أنه غير كائن. ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة، فقال تعالى {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} أي: من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم {كِرَامًا} على ربهم {كَتِيبِينَ} يكتبون أعمالكم {يَعْلَمُونَ} مَا تَفْعَلُونَ { من خير وشر فيكتبونه عليكم. قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة {وَإِنَّ لِفُجَّارٍ} وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: الظلمة. ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم: يا ليت شعري ما لنا عند الله؟ فقال له: اعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عنده، فقال: وأين أجده؟ قال: عند قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: {يَصْلَوْنَهَا} يعني: يدخلون الجحيم مقاسين حرها {يَوْمَ} {الذِّينِ} أي يوم الجزاء على الأعمال {وَمَا هُمْ عَنْهَا} أي: عن الجحيم {بِغَائِبِينَ} وهذا يدل على تخليد الكفار. وأجاز بعض العلماء أن تكون «عنها» كناية عن القيامة، فتكون فائدة الكلام تحقيق البعث. ويشتمل هذا على الأبرار والفجار. ثم عظم ذلك اليوم بقوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ} {الذِّينِ} {ثم كرر ذلك تفخيماً لشأنه، وكان ابن السائب يقول: الخطاب بهذا للإنسان الكافر، لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، «يوم» بالرفع والباقون بالفتح. قال الزجاج: من رفع اليوم فعلى أنه صفة لقوله تعالى: «يوم الدين» ويجوز أن يكون رفعه بإضمار هو ونصبه على معنى: هذه الأشياء المذكورة تكون {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ} شَيْئاً { قال المفسرون: ومعنى الآية أنه لا يملك الأمر أحد إلا الله، ولم يملك أحد من الخلق شيئاً كما ملكهم في الدنيا. وكان مقاتل يقول: لا تملك نفس لنفس كافرة شيئاً من المنفعة. والقول على الإطلاق أصح لأن مقاتلاً فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين. والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه.